

الكشاف

طفئت ناره اعترض سائل فقال : ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له : ذهب
إلى بنورهم . أو يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان . فإن قلت : قد رجع الضمير في
هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت : مرجعه الذي استوقد لأنه في
معنى الجمع . وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في " حوله " فللحمل على اللفظ تارة وعلى
المعنى أخرى . فإن قلت : فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله : " ذهب إلى بنورهم
" قلت إذا طفئت النار ناره اعترض سائل فقال : ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا
المستوقد فقيل له : ذهب إلى بنورهم . أو يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان .
فإن قلت : قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت :
مرجعه الذي استوقد لأنه في معنى الجمع . وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في " حوله "
فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى . فإن قلت : فما معنى إسناد الفعل إلى الله
تعالى في قوله : " ذهب إلى بنورهم " قلت إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر
فقد أطفأها الله تعالى بذهب بنور المستوقد . ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه
مستوقد نار لا يرضاها الله . ثم إما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام وتلك
النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء . ألا ترى إلى قوله : " كلما أوقدوا نارا للحرب
أطفأها الله " المائدة : وإما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض
المعاصي ويتهدوا بها في طرق العبث فأطفأها الله وخيب أمانيهم . فإن قلت : كيف صح في
النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد قلت : هو خارج على طريقة المجاز المرشح
فأحسن تدبره . فإن قلت : هلا قيل ذهب إلى بضوئهم لقوله : " فلما أضاءت " قلت : ذكر النور
أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة . فلو قيل : ذهب إلى بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة
وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا . ألا ترى كيف ذكر عقيبه "
وتركهم في ظلمات " والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف
أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله : " لا يبصرون " . فإن
قلت : فلم وصفت بالإضاءة . قلت : هذا على مذهب قولهم : للباطل صولة ثم يضمحل . ولريح
الضلالة عصفه ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح . والفرق بين أذهبه وذهب به أن
معنى أذهبه : أزاله وجعله ذاهبا . ويقال : ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه . وذهب
السلطان بماله : أخذه " فلما ذهبوا به " " إذا لذهب كل إله بما خلق " المؤمنون : ومنه :
ذهب به الخيلاء . والمعنى : أخذ الله نورهم وأمسكه " وما يمسك فلا مرسل له " فاطر : فهو

أبلغ من الإذهاب . وقرأ اليماني : أذهب اـ نورهم . وترك : بمعنى طرح وخلق إذا علق بواحد
كقولهم : تركه ترك طبعي ظله . فإذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجرى مجرى أفعال
القلوب كقول عنتره : .
فتركته جزر السباع ينشئه